

المصطلحات النحوية بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية في محاورات التحويين العامة "نماذج مختارة"

د.نبيلة قريني^{1*}

¹ جامعة 8 ماي 1945 قالمة ،

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

guerini.nabila@univ-guelma.dz

النشر: 2025/12/26.

القبول: 2025/12/22

الإرسال: 2025/08/10

الملخص:

يُعَدّ المصطلح النحوي مظهرًا من مظاهر علميّة النحو العربي؛ ذلك أن أي معرفة لاكتسب صفة العلميّة إلا متى استوفت شروطًا ثلاثة وهي: الموضوع، والمنهج، والزاد الاصطلاحيّ.

ولمّا كان المصطلح النحوي ضربًا من المصطلحات العلمية؛ فإنه يخضع بالضرورة لنواميسها العامة، ومنها أن منشأه كان من اللغة ذاتها، ثم اختاره أهل التخصص من النحاة ليعبروا به عن مفاهيم صناعتهم النحوية، ما جعل معناه يتراوح بين الدلالة اللغوية عند عامة الناس، وبين دلالاته الاصطلاحية عند أهل النحو.

ويروم المقال عرض نماذج من المصطلحات النحوية التي تصادمت دلالاتها الاصطلاحية المُستحدثة بدلالاتها اللغوية المتوارثة بشيء من الطرافة والمُلحّة، بما يُبين ضمنيًا عنالصراع الطبيعي والحتمي بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية لأي مصطلح علمي. الكلمات المفتاحية: المصطلح النحوي- الدلالة اللغوية- الدلالة الاصطلاحية- النحويون.

*د.نبيلة قريني

Grammatical Terminology Between Linguistic and Technical Semantics in the Public Discourses of Grammarians: Selected Cases

Abstract: Grammatical terminology constitutes a salient manifestation of the scientific character of Arabic grammar, as no body of knowledge can claim scientific status unless it fulfills three essential conditions: a clearly defined subject matter, a rigorous methodology, and a specialized terminological framework.

As a category of scientific terminology, the grammatical term is necessarily governed by the general principles that regulate such terms. Its origin lies in the language itself, from which it was appropriated by specialists in grammar to denote the conceptual constructs of their discipline. Consequently, its meaning often vacillates between the linguistic sense familiar to the general public and the specialized sense recognized by grammarians.

This study examines selected examples of grammatical terms whose newly established technical meanings have intersected—sometimes with elements of wit and humor—with their inherited linguistic senses. Such instances serve to highlight, albeit implicitly, the natural and inevitable tension between the linguistic and technical semantics of any scientific term.

Key words: grammatical terminology — linguistic semantics — technical semantics — Arabic grammarians.

1- مقدمة:

يعدّ النحو من أهم العلوم التي أنتجها الفكر العربي الإسلامي خدمة للنص القرآني وحماية له من اللحن. ولما كان النحو علمًا قائمًا بذاته؛ فقد استطاع أربابه أن يؤسسوا له زادًا اصطلاحيًا دقيقًا شمل كل أبوابه وفروعه.

والثابت أن الاصطلاحات النحوية-شأنها شأن سائر الاصطلاحات في العلوم العربية-لم تخرج عن ألفاظ العربية ذاتها، بل أخذها العرب من لغتهم، وأضافوا عليها معاني جديدة اتفقوا على مدلولها المستحدث.

وقد عرفت مرحلة صياغة المصطلح النحوي وبداية تداوله بمدلوله العلمي الجديد صراعاً بين دلالاته اللغوية الشائعة بين العامة وبين دلالاته الاصطلاحية المستحدثة، فمصطلحات الهمز والكسر والرفع والنصب وما إلى ذلك ما هي في فهم العامة إلا همز منهى عنه شرعاً، وكسر للأشياء، ورفع للشيء كرفع الرأس ورفع الصوت بالآذان.

وهذا الصراع صورته لنا روايات لغوية عديدة حملت طابع الطرافة والفكاهة، غير أنها في صميمها تعكس حقيقة متعارفاً عليها بين أهل العلوم أن المصطلحات تتخذ مدلولها العلمي بعد أن تغبر طويلاً تُعرف بمعناها اللغوي.

ومن هذه المعطيات يروم مقالنا استقصاء الآتي:

- عرض نماذج من محاورات النحويين العامة -لا سيما الأعراب - بلغة علمهم المستحدث وجوابهم على ما اشتهر من المعنى اللغوي لاصطلاحاتهم لتوضيح الصلة الوثيقة بين دلالة المصطلح اللغوية ودلالاته العلمية.

- تأكيد أصالة المصطلحات العربية المقتبسة من اللغة العربية ذاتها ونفي تأثيرها باصطلاحات النحو اليوناني أو غيره من الأنحاء إثباتاً لأصالة النحو العربي ذاته.

- بيان جهود النحويين في بناء الزاد الاصطلاحي لعلم النحو وجهدهم في تثبيته تثبيثاً لعلم النحو في نفوس الناشئة من الدارسين سعياً منهم لحفظ اللغة العربية لغة القرآن الكريم من الاندثار.

2- اصطلاحات ومفاهيم:

1-2 مفهوم المصطلح النحوي:

المصطلح النحوي لفظ مركب تركيباً وصفيّاً من كلمتي "المصطلح" و"النحوي"

*فأما المصطلح:

أ-لغة: اسم مفعول من الفعل "اصطلح"، وهو مزيد بالهمزة والتاء المبدلة طاءً لمجاورتها صوت الصاد، وأصله "اصتلم"، والمجرد منه "صلح"، وتأتى في العربية لمعان منها:

-الصلاح: ضد الفساد، صلح، يصلح، صلاحاً، وصلحاً، ومنه: تصالح القوم بينهم، وقد اصطلحوا، وتصالحو، واصالحو.¹

وجاء في معجم الوسيط: "صُلح القوم: زال ما بينهم من خلاف، على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا".²

ومن التعريفين الواردين نخلص إلى أن المعنى اللغوي للفظ "مصطلح" يتصل بقول: اصطلاح القوم إذا اتفقوا على الأمر، والاتفاق عمومًا ضد الخلاف وهو ضد الفساد.

ب- اصطلاحًا: المصطلح هو اتفاق جماعة على أمر مخصوص، وعرفه الشريف الجرجاني (816هـ) بقوله: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء ما، ينقل من موضعه الأول، والاصطلاح: إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينها".³ ويعرفه الكفوي (1093هـ): "هو اتفاق القوم على وضع الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد".⁴

فالمصطلحات على هذا ألفاظ من اللغة ذات مدلول معجمي متعارف عليه بين أبناء اللغة، يتخذها أرباب علم من العلوم وسيلة للتعبير عن مفهوم محدد متفق عليه فيما بينهم على سبيل التخصيص، المفضى إلى إضفاء دلالة جديدة على تلك اللفظة. وهذا شأن معظم المصطلحات في العلوم العربية قديمها وحديثها؛ إذ لكل علم مصطلحاته.

* وأما النحوي: فهو وصف منسوب إلى النحو، والنحو: هو علم عربى يعنى بدراسة أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً، وبمعنى أشمل فهو علم يحوى قواعد وأحكام تمكننا من استعمال اللغة العربية استعمالاً صحيحاً فى أصواتها وألفاظها وتراكيبها.

وأما انتساب "المصطلح" إلى "النحو"، وقولنا "المصطلح النحوي" فيعني تحديد دائرة الاصطلاح في ميدان النحو لتخصيصه بالبحث.

وعلى هذا يمكن أن نعرف "المصطلح النحوي" على أنه: اتفاق جهور النحويين على تسمية مفهوم نحوي محدد بلفظ محدد، يخرج هذا اللفظ عن دلالة اللغوية إلى دلالة العلمية المستحدثة.

وعرفه أحد الدارسين بقوله: هو الاتفاق بين النحاة على استعمال ألفاظ فنية معينة في التعبير عن الأفكار والمعاني النحوية؛ فالكلمة وأنواعها من الاسم والفعل والحرف والكلام بأنواعه كلها اصطلاحات نحوية أخرجت عن مدلولها اللغوي إلى مدلولها الاصطلاحي.⁵ والناظر في علم النحو العربى يظفر بزيادة اصطلاحى عظيم متعلق بكل أبواب النحو ومسائله الأصول والفروع، بما يحيل على عظم الجهد الذى بذله النحويون لضبط علمهم وتقنينه باصطلاحات مخصوصة كانت ولا تزال أجود ثمار العلوم على مرّ العصور.

3- مفهوم الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية:

يُمَيِّزُ الْمُخْتَصِّصُونَ فِي عِلْمِ الدَّلَالَةِ بَيْنَ أَنْوَاعٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الدَّلَالَاتِ مِنْهَا: الدَّلَالَةُ اللَّغَوِيَّةُ وَالدَّلَالَةُ الصَّوْتِيَّةُ وَالدَّلَالَةُ الصَّرْفِيَّةُ وَالدَّلَالَةُ النَّحْوِيَّةُ وَالدَّلَالَةُ التَّفْسِيرِيَّةُ وَالدَّلَالَةُ الاصْطِلَاحِيَّةُ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ.⁶

وَالَّذِي يَهْمُنَا فِي هَذَا الْبَحْثِ الْحَدِيثُ عَنِ الدَّلَالَةِ اللَّغَوِيَّةِ وَالدَّلَالَةِ الاصْطِلَاحِيَّةِ وَالْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا.

أ/ الدلالة اللغوية: ويعبر عنها بالمعنى المعجمي -والاجتماعي كذلك⁷ وتعني: تعريف الكلمة في اللغة واشتقاقاتها بالوقوف على معانيها في المعاجم اللغوية.

ويطلق المعنى اللغوي على المعنى الذي استعملته العرب للكلمة ، وهو معنى عام يتوارد على أذهان أهل اللغة جميعاً متعارف عليه فيما بينهم ، يُكتسب عن طريق التلقي والمشافهة ، ويحتل بؤرة الشعور ، وهو الهدف الأساسي في كل كلام.⁸

ب/ **الدلالة الاصطلاحية**: تحيل على المعنى الذي اتفق أهل فنّ على إعطائه للكلمة ذاتها ؛ فالصلاة مثلاً: تعني الدعاء في اللغة ، وفي المعنى الاصطلاحي تعني: العبادة المعروفة ، والزكاة لغة: تعني النماء والزيادة ، واصطلاحاً: هي العبادة المعروفة التي تعني إخراج نصيب من المال إذا حال عليه الحول وبلغ النصاب ، والأمر نفسه في سائر إصلاحات الفنون والعلوم العربية.

وإذا كانت الدلالة اللغوية عامة يتفق عليها أبناء اللغة ، فإنّ الدلالة الاصطلاحية خاصّة ومقيّدة ، قد لا يفهم معناها إلا المتمرّس في ذلك الفنّ المخصوص ، حتّى إنّنا نجد من الكلمات ما تتعدّد دلالتها الاصطلاحية بحسب طبيعة العلم الّذي تُوظّف فيه ؛ ف"نجد المصطلح الواحد عند أكثر من فئة من العلماء ، ولكنّا نجده بمعان مختلفة أيضاً ؛ فاصطلاح "الخبر" مثلاً نجده عند النحاة يعبر عن معنى يختلف عنه عند المحدثين ، كما يختلف عمّا يدلّ عليه عند البلاغيين ، والعامل عند النحوي مثلاً غيره عند الفقيه والفيلسوف ، وكذلك الكلام والتمييز والحال والإعراب والبناء ، وغيرها من الكلم التي اصطلح عليها أهل كل علم في علمهم."⁹

4- العلاقة بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية:

تمثّل الدلالة الاصطلاحية للكلمات لوئاً من ألوان التطور الدلالي الذي يعتري الألفاظ والتراكيب التي تُختار لتكون رموزاً لغوية لبعض الحقائق أو المفهومات أو المدركات أو الظواهر؛ حيث يصبح لهذه الرموز مدلولات جديدة تختلف عن مدلولاتها اللغوية العامة.¹⁰ وعلى الرغم من خفاء العلاقة بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية في كثير من الكلمات-لاسيما على عامة الناس؛ إذ لا يكادون يفقهون منها شيئاً متى بُعد تواصلهم بالعلم المخصوص-فالواقع أن المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاح لا تكاد تنفصل ألبتة، بل إن من شروط الاصطلاح أن تجتمع دلالاته الاصطلاحية بدلالاته اللغوية بوجه من المناسبة، ويظهر هذا جلياً في تعريف الجرجاني للمصطلح لها قال: "والاصطلاح: إخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينها".¹¹

وهذه المناسبة يدركها أهل العلم وأربابه، والقائمون على صوغ مصطلحاته، ولذلك نجد دأب العلماء على الاستهلال بتعريف المصطلح عادة لغة ثم اصطلاحاً، مع رصد العلاقة بين المعنيين.

فالمصطلحات إذًا لا توضع ارتجالاً، ولا بدّ في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاح.¹²

ولها كانت الدلالة الاصطلاحية تشكّل لوئاً من ألوان التطور الدلالي -على ما ذكرنا سابقاً- فإنّ بعض الدلالات الاصطلاحية قد تصبح أكثر شيوعاً واستعمالاً، وتصبح هي المتبادرة للذهن عند ذكر هذه الألفاظ، وهذا يعني أنها فاقت المدلولات اللغوية الأصيلة، وصارت هي السائدة في الاستعمال اللغوي، «فكلّما شاع المصطلح بفهمه الجديد في بيئته الخاصة واتسعت دائرة استعماله خرج عن نطاقه الضيق واقترب من نطاق الاستعمال العام. ولعلّ خير مثال للمصطلحات الخاصة التي قدّر لها الشيوع في الاستعمال العام هو ما يسمّى بالألفاظ أو المصطلحات الإسلامية أو الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج... إلخ». ¹³

وما ينبغي التنبيه عليه أن الدلالة الاصطلاحية للكلمات لا تأخذ مكاناً لها في حيّز الاستعمال العلمي والعرفي بين ليلة وضحاها، بل إن ذلك الشيوع سواء في العلم الخاص أو بين العامة يستغرق فترة زمنية قد تطول أو تقصر، وهذا يعني أن المصطلحات تعبر زمناً طويلاً تعرف بدلالاتها اللغوية.

5- العلاقة بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية للمصطلحات النحوية:

لا تشذ اصطلاحات التحويين عن سائر اصطلاحات العلوم العربية من حيث اقتباسها من ألفاظ العربية ذاتها وإضفاء معاني جديدة عليها تتصل بطبيعة العلم، وتحمل في طياتها مناسبة ظاهرة أو خفية بمعناها اللغوي، وليس لنا في هذا المقام إلا التمثيل ببعض ما أقره أرباب الصناعة النحوية أنفسهم من هذه المناسبات في مواضع عديدة.

* فمن شواهد المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ما جاء في تعليل تسمية الحرف حرفاً، قال الزجاجي: «...وسمي القسم الثالث حرفاً لأنه حد ما بين هذين القسمين ورباط لهما، والحرف حد الشيء، فكانه لوصله بين هذين كالحروف التي تلي ما هو متصل بها، وهذا بين واضح».¹⁴

وقال ابن الأنباري: «فإن قيل: لم سمي الحرف حرفاً؟ قيل: لأن الحرف في اللغة هو الطرف، ومنه يقال: حرف الحبل: أي طرفه، فسمي حرفاً لأنه يأتي في طرف الكلام.» ومنه أن الرفع سمي رفعا والنصب نصبا والخفض خفضاً لأن «...المتكلم بالحركة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفثيه... والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه، فيبين حنكه الأسفل من الأعلى، فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة إحداها عن صاحبه... [وأما الخفض] فقالوا لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به وميله إلى إحدى الجهتين.

وأما الجزم فأصله القطع، يقال: جزمت الشيء، وجذمته، وبترته، وجذذته، وصلمته، وفصلته، وقطعته بمعنى واحد، فكان معنى الجزم: قطع الحركة عن الكلمة، هذا أصله، ثم جعل منه ما كان حرفاً على هذا؛ لأن حذف الحركة وحذف الحرف جميعاً يجمعهما الحذف».¹⁵

ولنا في كتب التحويين وتعليلاتهم نماذج كثيرة تؤكد علاقة المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمصطلحات النحوية.

ومما تخضع له المصطلحات النحوية من قوانين -شأنها شأن كثير من المصطلحات العلمية العربية- أن معاني بعضها قد شاع قياساً بمدلولها اللغوي؛ بحيث أصبح المدلول الاصطلاحي أسرع في التبادر إلى الذهن من المعنى اللغوي له؛ من ذلك أنه لو سمع لفظ "حرف" لتبادر إلى ذهن السامع حروف الهجاء وهي الدلالة الاصطلاحية للحرف، لا دلالة اللغوية، والتي غطت على الثانية وأصبحت أكثر شهرة منها، بل إن كثيراً منا يجهل معنى

الحرف لغة ، ومثله قول النَّاسِخِ والمنسوخ والمعتلّ والأجوف والنّاقص ، وما إلى ذلك من الاصطلاحات التي غطّت دلالتها الاصطلاحية على دلالتها اللغوية.

6- المصطلحات النحوية بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية في محاورات النحويين العامة.

ظهر النحو العربي في زمن مبكر من تاريخ الحضارة العربية ؛ إذ ترجع بداياته الأولى إلى منتصف القرن الأول للهجرة على عهد أبي الأسود الدؤلي (69هـ) الذي يعدّ بحسب أشهر الروايات أول نحوي عربي.

ولمّا كان النحو علمًا كان لا بدّ له من التّزود بمصطلحات يعبر بها أربابه عن المفاهيم والأفكار النحوية المستحدثة ، فجاءت اصطلاحات النحويين مقتبسة من ألفاظ اللغة العربية ذاتها بمدلولات جديدة لا عهد للعرب بها.

ولمّا كانت مجالس النّحويين تعقد في أماكن يقصدها عامّة العرب من مثل المساجد وحلقات التدريس ؛ فقد كان وقع اصطلاحات النحويين على أسماع العامة وقع الصاعقة ؛ بحيث ما كانوا يفقهون منها غير دلالتها اللغوية التي ألفوها في لغة آبائهم ، وكان علم النحو صعبًا — ولا يزال - خصوصًا على الأعراب الذين يتكلّمون بالسليقة وعلى البديهة ، ويصعب عليهم تقبّل مصطلحات النّحاة.

ولذلك لقي النحو واصطلاحاته استهجانًا واستنكارًا من قبل العامة ، وُعِدّ تذاكره بينهم ضربًا من الغلط.

وقد جاء في كتب المتقدّمين أنّه: «قد تكلم قوم من النّحويين مع العوامّ ، فكان ذلك من جنس التّفهيل وإن صوابًا ؛ لأنه لا ينبغي أن يكلم كلّ قوم إلّا بما يفهمون.

قال ابن عقيل: كان شيخنا أبو القاسم بن برهان الأسدي يقول لأصحابه: إيّاكم والنحويين العامة ، فإنه كاللّحن بين الخاصة».¹⁶

وقد بلغ أمر تعاظم النّحو ومسائله بين العامة مبلغًا غير محمود العواقب في مرويّات عديدة ، حتى إنّ بعض العامة اشتكى من النّحويين إلى الشرطة ، فنال أهل النحو التّوبيخ والضّرب ، من ذلك ما يروى عن حادثة وقعت لأحد علماء البصرة لمّا قصد بغداد وهو أبو حاتم السجستاني (255هـ) ؛ فقد روي أنه: «دخل أبو حاتم بغداد ، فسئل عن قوله تعالى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ) [التحریم / 6] ما يقال منه للواحد؟ قال: ق ، فقال: فالاثنتين؟ فقال: قيا ، قال: فالجميع؟ قال: قُوا ، قال: فاجمع لي الثلاثة ، قال: ق ، قيا ، قُوا.

قال وفي ناحية المسجد رجل جالس معه قماش ، فقال لواحد: احتفظ بثيابي حتى أجيء ، ومضى إلى صاحب الشرطة ، وقال: إنِّي ظفرت بقوم زنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديك ، فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشرطة ، فأخذونا وأحضرنا مجلس صاحب الشرطة ، فسألنا ، فتقدّمت إليه وأعلمته الخبر ، وقد اجتمع خلق من خلق الله ينظرون ما يكون ، فععّفني وعذلني ، وقال: مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ؟ وعهد إلى أصحابي فضربهم عشرةً عشرةً ، وقال: لا تعودوا إلى مثل هذا ، فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعاً ، ولم يقيم ببغداد ، ولم يأخذ عن أهلها».¹⁷

ومفاد الواقعة أن أبا حاتم سئل عن أمر المفرد المخاطب من الفعل "وقى" فأجاب: "ق"، وسئل عن أمر المثني ، فأجاب: "قياً" ، وعن أمر الجمع منه: فأجاب "قوا". وهذا الفعل من اللفيف المفروق ، وهو ما كان أوله وآخره حرفي علة ، فيحذف أوله في الأمر للإعلال وآخره لبنائه على حذف حرف العلة ، والتعويض عنه بكسرة ، فإذا جمعت ما للمفرد والمثني والجمع منه في اللفظ صار أشبه بصياح الديك.

ولمّا كان من الحضور من لم يفهم المسألة ظنّ أن هؤلاء يسخرون بكلام الله وشبهه تصريحهم الفعل بصياح الديك ، وما ذلك بصحيح ، إنّما هو ممّا ذكرناه أنفاً جنس من التّغفيل والجهل باصطلاحات التّحويين.

ومن التّوادر التي تدلّ على أن المصطلحات التّحوية ظلّت فترة من الزّمن تغبر في دلالتها اللّغوية ، ما هذا بيانه:

***مصطلح الجر:** من معاني الجرّ لغة: السحب.

وأما اصطلاحاً: فهو اصطلاح يطلق على الحركة التي تكسر فيها الشّفة السفلى ليتوصّل بها إلى نطق الحرف مكسوراً.

والكسر من المصطلحات التّحوية التي ارتبط استخدامها بالزّمن الأوّل من تاريخ النحو ، وارتبطت بأبي الأسود الدّوّلي حين وضع نقط الإعراب ، وقال لفتاه: «...وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف...».¹⁸

وما ينبغي التّنبية عليه في هذا الموضع أن صنيع أبي الأسود هذا كان وصفاً للظّاهرة اللّغوية وصفاً لغوياً وليس إطلاقاً للمصطلح ،¹⁹ بل إن الخليل هو من سمّى الحركات فتحة وضمة وكسرة من حركة الشّفاة ، وهو عمل وصفيّ بحث.

ومن طرائف ما روي عن تعالق المعنى اللغوي بالاصطلاح للكسر أن نحوياً أصّر على أن يتحدث أولاده بالفصحى، وذات يوم طلب من إحدى بناته أن تحضر له قينة حبر، فأحضرت الفتاة القينة وخاطبت أباه: "هاك القينة -بفتح القاف- يا أبي"، فقاتل لها والدها: "اكسريها-يقصد كسر حرف القاف-" فما كان من البنت إلا أن رمت القينة وكسرتها، فما فهمت من الكسر غير المعنى اللغوي، ولم يحضر بيال البنت الدلالة الاصطلاحية لكلمة الكسر، لا سيما أنها تحمل شيئاً قابلاً للكسر حقيقة.

وفي هذا دلالة على جهل الفتاة بعلم النحو واصلاحات أهله، وإن كان والدها من العارفين به، ومن ثمة لم تستحضر في ذهنها عند أمرها بالكسر غير فعل الكسر الحقيقي للقينة.

***مصطلح الهمز:** يأتي الهمز في اللغة بمعانٍ منها: الدفع بقوة والضغط والضرب والعض والكسر.

ومن معانيه في الاصطلاح: أن استقرت التسمية على الصوت الحنجري الذي هو نبرة في الصدر تخرج باجتهاد.

وقد ذُكر من الطرائف عن ظاهرة الهمز بين الأعراب والتحويين قصص كثيرة تدلّ كلها على أن الأعراب لم تكن تعرف من الهمز إلا معناه اللغوي من كونه غمزا ولمزاً ونخساً وضغطاً، فقد روي أن الأصمعي قال لأعرابي: أتهمز الفارة؟ فأجابه: تهمزها الهرة.²⁰

فسؤال الأصمعي للأعرابي قصد به أتقول: الفارة مهموزة؟ ولجهل الأعرابي بدلالة اصطلاح الهمز في عرف النحاة واللغويين، ظن أن الأصمعي يستهزأ به؛ لما فهم من همز الفارة ضغطاً لها وهو ما لا يفعله عاقل، بل هو من فعل الهرة على أجب.

***مصطلح المعرفة والنكرة:** التعريف والتنكير من خصائص الأسماء، ولهما علامات معروفة عند النحويين، فمن علامات النكرة التنوين، وأما المعرفة فمراتب منها أسماء العلم والمعرف بأل والمعرف بالإضافة وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر.

ولها كان الأعراب لا يفقهون من اصطلاحات النحويين شيئاً؛ فقد كان تذاكر الأسماء ووصفها بالتعريف والتنكير ضرباً من مخالفة الشرع، وكأنه تشهير بالمسمى، ومن طرائف ما روي في هذا الباب:

«عن أبي الزناد: قال: جاء أعرابي إلى المدينة فجالس أهل الفقه ثم تركهم، ثم جالس أصحاب النحو فسمعهم يقولون نكرة ومعرفة، فقال: يا أعداء الله يا زنادقة».²¹

وقد لا يعاب من أمر الأعرابي شيء طالما أن قول العامة "هذا معرفة وهذا نكرة" اشتهر وصفاً للذوات والأشخاص فيمن يراد أن يرفع من قدره أنه معرفة ، ومن يُراد أن يستهجن أمره فيوصف أنه نكرة ، ولعل الأعرابي سمع قول: زيدٌ معرفة ، وفلانٌ نكرة ، على أن الأول اسم علم معرّف بالأصل عند أهل النحو ، والثاني نكرة لخلوّه من علامات التعريف ، ولحاق التنوين به ، ففهم ما يفهمه سائر العوام من هذين الوصفين ، فلا لوم عليه إن نعت النحويين بالزنادقة.

***مصطلحا المَدّ والقصر:** القصر لغة خلاف الطول ، والمَدّ هو الارتفاع والطول.

واصطلاحاً: يتداول في عرف النحاة أربعة مصطلحات متعلّقة مشتقة من المَدّ والقصر ، فأما الأولان فهما الممدود والمقصور ، وهما من تصنيفات النحويين للأسماء ، على أن المقصور ما كان مختوماً بألف مثل فتى ، وعصا ، وأما الممدود فهو كل اسم مختوم بألف مدّ بعدها همزة مثل: سماء وبيداء.

وأما المصطلحان الآخران "المَدّ والقصر" فهما وصفان يتعلّقان برسم ألف الاسم المقصور ، فإن كُتبت طويلة فهي ألف مدّ ، وإن كُتبت برسم الياء دون نقط فهي ألف مقصورة ، ولعل الدلالة الثانية هي التي نقصدها في الرواية الآتية.

وممّا جاء من طرائف عن المَدّ والقصر ما روي عن ابن الخشاب (567هـ) -كان من علماء اللغة والنحو في بغداد ، وعُرف بالمزاح والفكاهة- أنه سأله شخص عن القفا: أيمدّ أم يقصر ؟ فأجاب: يمدّ ثم يقصر.

وأما القفا-وهو مؤخر الرأس والرقبة-فهو اسم مقصور ، ولكن ابن الخشاب مزاح سائله بأن القفا يمدّ للضرب ، فإذا ضرب قصر ، وهو معنى قوله: يمدّ ثم يقصر ، وهو ما تراه حقيقة للمضروب على قفاه.²²

وعلى الرّغم من إدراك ابن الخشاب لمغزى السؤال عن مدّ القفا أو قصرها في جانبه الهجائي من حيث كيفة رسم ألفه ؛ إلّا أنّ جوابه السائل جاء لشيء من الدّعابة والمزاح ؛ فردّ بدلالة مصطلحي المَدّ والقصر اللّغوية أن القفا يمدّ إذا أراد أحدهم ضرب أحدهم منه ، ثم يقصر متى ضرب بفعل لا إراديّ نتيجة تلقّي الضربة.

وأما الجواب عن سؤال السائل: فالأصل أن القفا تكتب بألف ممدودة لأن الألف منقلبة عن واو ، بدليل تثنيته "قفوان" ، والتثنية تردّ حروف العلة إلى أصولها وكذلك التّصغير.

ولعلّ الروايات في كتب المتقدمين كثيرة فيما جاء من طرائف عن تصادم الدلالة الاصطلاحية للمصطلحات النحوية بدلالاتها اللغوية ، وهو وإن كان يُستخفّ به لطرافته ؛ فإنّه يصوّر ضمنياً الصّراع الطبيعيّ والحتميّ بين الدّلالة اللّغوية والاصطلاحية للمصطلحات العلميّة ومنها مصطلحات علم النحو.

7- خاتمة

تضمن المقال عرض نماذج من المصطلحات النحوية التي تصادمت بدلالاتها الاصطلاحية المُستحدثة بدلالاتها اللغوية المتوارثة بشيء من الطرافة والمُلحّة ، بما يُبين ضمنياً عن الصراع الطبيعيّ والحتميّ بين الدّلالة اللّغوية والدّلالة الاصطلاحية لأيّ مصطلح علميّ. ويمكن أن نستدلّ بالمرئيات الواردة في متن المقال على حقائق عديدة متعلّقة بالمصطلح النحويّ بين الدّلالة اللّغوية والدّلالة الاصطلاحية ، منها:

- الصلة الوثقى بين دلالة المصطلح النحويّ لغة واصطلاحاً ، وإن خفيت المناسبة بينهما على العامّة فهي معلومة عند أهل التخصص.
- أصالة المصطلحات النحوية العربية لاقتباسها من اللّغة العربيّة ذاتها ، ومناسبتها لمعانيها اللغوية ، وهو ما يدلّ على أصالة علم النحو ذاته ، من حيث كونه علماً عربياً أصيلاً المنشأ ، ارتبط ظهوره بلغة القرآن الكريم.
- الدّلالة الاصطلاحية هي لون من ألوان التّطور الدّلاليّ للكلمات ، ويغبر المصطلح طويلاً منغمساً في دلالاته اللّغويّة ، ثم ما يلبث أن تشيع دلالاته الاصطلاحية حتى قد تغطي على الدّلالة اللّغويّة الأصليّة ، إنّه أشبه بالكائن الحيّ.

8- مصادر البحث ومراجعته:

1. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط 3 ، 1986.
2. إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط ، دار الدعوة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1960.
3. ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين ، شرح: عبد الأمير مهنا ، دار الفكر اللبناني ، لبنان ، ط 1990.
4. الزجاجي: الإيضاح في علل النحو ، تح: مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1996.
5. سيد خضر: طرائف ونوادر من سير اللغويين والنحاة ، دار الهدى للكتاب ، مصر ، ط 1 ، 1998.
6. الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تح: محمد المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، ط 2004.
7. عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي: نشأته ونظوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عمادة شؤون المكتبة ، جامعة الرياض ، السعودية ، ط 1 ، 1981.
8. عبد الله بن حمد الخثران: مصطلحات النحو الكوفي: دراستها وتحديد مدلولها ، دار هجر ، مصر ، ط 1 ، 1990.

9. أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، (د. ط).
10. الكفوي ، الكلّيات ، تح: عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1998.
11. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2000.
12. ابن منظور: لسان العرب ، (د. تح) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1990.

9- الهوامش والإحالات:

- ¹: ابن منظور: لسان العرب ، (د. تح) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1990 ، 516 / 2 ، 517 ، مادة (ص ل ح).
- ²: إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط ، دار الدعوة ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1960 ، 520 ، مادة (ص ل ح).
- ³: معجم التعريفات ، تح: محمد المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، ط 2004 ، ص: 27.
- ⁴: الكلّيات ، تح: عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1998 ، ص: 129.
- ⁵: ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي: نشأته ونظوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عمادة شؤون المكتبة ، جامعة الرياض ، السعودية ، ط 1 ، 1981 ، ص: 23.
- ⁶: ينظر: إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط 3 ، 1986 ، ص: 46 ، وما بعدها.
- ⁷: ينظر: مر. ن ، ص: 49.
- ⁸: ينظر: إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط 3 ، 1986 ، ص: 46 ، وما بعدها.
- ⁹: ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي: نشأته ونظوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، ص: 24.
- ¹⁰: ينظر: عبد الله بن حمد الخثران: مصطلحات النحو الكوفي: دراستها وتحديد مدلولها ، دار هجر ، مصر ، ط 1 ، 1990 ، ص: 07.
- ¹¹: معجم التعريفات ، تح: محمد المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، ط 2004 ، ص: 27.
- ¹²: ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي: نشأته ونظوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، ص: 24.
- ¹³: ينظر: عبد الله بن حمد الخثران: مصطلحات النحو الكوفي: دراستها وتحديد مدلولها ، ص: 07.
- ¹⁴: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو ، تح: مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1996 ، ص: 44.
- ¹⁵: مص. ن ، ص: 93
- ¹⁶: ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين ، شرح: عبد الأمير مهنا ، دار الفكر اللبناني ، لبنان ، ط 1990 ، ص: 132.
- ¹⁷: ينظر: سيد خضر: طرائف ونوادر من سير اللغويين والنحاة ، دار الهدى للكتاب ، مصر ، ط 1 ، 1998 ، ص: 40.
- ¹⁸: أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، (د. ط) ، ص: 10 ، 11
- ¹⁹: ينظر: عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي: نشأته ونظوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، ص: 32.
- ²⁰: ينظر: مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2000 ، 1 / 264.
- ²¹: ينظر: ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين ، ص: 122.
- ²²: سيد خضر: طرائف ونوادر من سير اللغويين والنحاة ، ص: 28.